Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 4 (2023) • P: 78 - 67
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Semiotic connotations in the Arabic novel The Baghdad Morgue, for example

Dr. Itidal Salman Iraby*[1] , Dr. Sura Saleem Abdel Shaheed[2]

[1] College of Basic Education | University of Babylon | Iraq

[2] College of Administration and Economics | University of Babylon | Iraq

Received: 04/12/2022

Revised: 25/12/2022

Accepted: 06/05/2023

Published: 30/09/2023

* Corresponding author: rajaa@hilla-unc.edu.iq

Citation: Iraby, I. S., & Shaheed, S. S. (2023). Semiotic connotations in the Arabic novel The Baghdad Morgue, for example. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 2*(4), 67– 78. https://doi.org/10.26389/AJSRP.R041222

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The Iraqi novel attained a very high status, in terms of the richness of events and the acceleration of changes, in addition to the fact that the Iraqi novel transcended the stages of conformation, formation and simulation. All that was the reason to delve into the midst of the Iraqi novel, and we saw the novel (Baghdad Morgue) and interrogated the secrets of the narrative text according to the semiotic approach; which is one of the curricula that has proven its presence in the monetary arena as a school with its own curriculum and foundations.

* What role does semiotics play to show the effectiveness of the novel and its impact on the recipient?

* Did the selected novel succeed in raising political, cultural and critical issues?

The research will show the ability of the Iraqi novelist to employ connotations that reflect the state of crisis in society, and how the semiotic approach works on it through applications that reflect its significance.

Keywords: semiotics, The semiotics of novelist space, The semiotics of textual space, Spatial semiotics, The semiotics of time, Character chemistry, loopback, foresight, fantasy.

الدلالات السيميائية في الرواية العربية مشرحة بغداد مثالاً

الدكتورة / اعتدال سلمان عربي*[1]، الدكتورة / سرى سليم عبد الشهيد[2]

[1]كلية التربية الأساسية | جامعة بابل | العراق

[2]كلية الإدارة والاقتصاد | جامعة بابل | العراق

المستخلص: حازت الرواية العراقية على منزلة رفيعة جدا، حيث ثراء الاحداث وتسارع التغيرات، بالإضافة الى ان الرواية العراقية تجاوزت مراحل التشكل والتكون والمحاكاة، كل هذا كان سببا للخوض في غمار الرواية العراقية، واستقر الرأي على رواية (مشرحة بغداد) كونها الانسب لاستنطاق مكنونات النص السردي وفق المنهج السيميائي الذي يعد من المناهج التي اثبتت وجودها في الساحة النقدية كمدرسة لها مناهجها واسسها.

يكتب الروائي العراقي (برهان شاوي) روايته (مشرحة بغداد) وتلتها سلسلته الرائعة من المتاهات، حيث عمد الراوي في اغلب رواياته ان يتخذ من الموت اداة طيعة لرواياته، حيث يحيط الرواية كوابيس السياسة، الخوف، القتل، التعذيب، فيعتاد الناس رائحة الموت وما عاد في الموت ارهاق والدخان غلف جوانهم اليومية، يسعى البحص الى كشف الدلالات السيميائية المتنوعة، للإجابة عن اشكالية البحث، والتي تكمن في سؤالين:

* ما الدور الذي تؤديه السيميائية لإظهار فاعلية الرواية وتأثيرها على المتلقي؟

* هل نجحت الرواية المختارة في إثارة قضايا سياسية وثقافية ونقدية؟

سيوضح البحث مقدرة الروائي العراقي على توظيف دلالات تعكس حالة المجتمع المتأزم، وكيف يشتغل عليها المنهج السيميائي عبر التطبيقات العاكسة لدلالته.

الكلمات المفتاحية: سيمياء، سيميائية الفضاء الروائي، سيميائية الفضاء النصي، سيميائية الفضاء المكاني، سيميائية الزمان، سيميائية الشخصيات، الاسترجاع، الاستشراف، الفانتازيا.

المقدمة

للرواية مكانة رفيعة بين الفنون الادبية، والاكثر ملامسة لحياة المجتمع، حيث تكشف مسارات الحياة وتوجهات المرحلة التي سبقت كتابة الرواية، ولان العراق كبلد مرَّ بأزمات ومنعطفات حادة، حازت الرواية العراقية على منزلة رفيعة جدا، حيث ثراء الاحداث وتسارع التغيرات، بالإضافة الى ان الرواية العراقية تجاوزت مراحل التشكل والتكون والمحاكاة ،كل هذا كان سببا للخوض في غمار الرواية العراقية، واخترنا رواية (مشرحة بغداد) لاستقراء مكونات النص السردي وفق المنهج السيميائي الذي يعد من المناهج التي اثبتت وجودها في الساحة النقدية كمدرسة لها منهاجها واسسها، وعلى اساس هذا التوجه وقع الاختيار على عنوان بحثنا الموسوم (مقاربة سيميائية في رواية مشرحة بغداد لبرهان شاوي) .

سيوضح البحث مدى مقدرة الروائي العراقي على توظيف دلالات تعكس حالة المجتمع المتأزم، وكيف يشتغل عليها المنهج السيميائي عبر التطبيقات العاكسة لدلالته .

خلفية البحث

تعددت الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع السيميائية في الدراسات النقدية، ولم نعثر على دراسة سيميائية للرواية موضوع البحث

أهمية البحث

المنهج السيميائي احد علوم اللغة التي تعني بدراسة العلامات واعطاء القوة للعلامة لتكون بديلا عن البنية، النص الروائي المعني بالدراسة يكشف دلالات جديدة في اطار واقع سياسي سائد، عُنيت هذه الدراسة بتتبع اغوار النص الروائي والوقوف على تلك العلامات وتتبع دلالاته ومحاولة فك شفراته

خطة البحث

تقتضي طبيعة البحث الاتي: المقدمة توضح اشكالية الموضوع وسبب اختيارنا لهذه الرواية تحديدا ووفق هذا المنهج، يليها تمهيد نعرض فيه مراحل وآراء وتوجهات المنظرين للمنهج السيميائي والمصطلحات التي تدور في فلكه، أما المحور الأول فقد تناولنا سيميائية المكان وعرضنا تطبيقات تليق بالعنوان وتوضح العلامات السيميائية كمؤشرات لجودة الرواية .

أما المحور الثاني فقد تناولنا اهم تقنيات كتابة الرواية المتمثلة بالزمان فكان العنوان سيميائية الزمان، وعرضنا الآراء النقدية التي تعطيه ديمومة الصيرورة في السرد مهما طال أو قصر، والمحور الثالث تناولنا سيميائية الشخصية على اعتبار الشخصية مكونا ضروريا في السرد دونه تتخلخل البنية الروائية، وعرضنا تطبيقات لاختيار الشخصيات التي بدت تحمل سيميائية مغايرة عن المتوقع، ثم الخاتمة والنتائج وثبت المصادر.

منهج البحث

لكل بحث لابد من موجه للمسير حتى يثبت مشروعية البحث ويكفل الوصول الى نتائج تعكس جهد المؤلف وبراعته، واخترنا المنهج السيميائي لمعالجة الاشكالية وتحقيق الفائدة العلمية. واعتمدنا مجموعة من المراجع منها:

- محاضرات مناهج النقد الادبي المعاصر، دراسة الاصول والملامح والاشكالات النظرية والتطبيقية
- شعرية الخطاب السردي
- بنية النص السردي (من منظور النقد الادبي)
- بنية الخطاب الروائي
- التأويل بين السيميائية والتفكيكية

وقد اسهمت هذه المراجع بإضاءة العتمة لهذا البحث، وكانت مسلكا ناجعا للوصول الى النتائج

تمهيد

فاعلية المنهج السيميائي في تشكيل النصوص الادبية، السيميائية من المظاهر الحداثية في الدراسات النقدية الحديثة، وللمنطقي الامريكي تشارلز بيرس دورا في التنظير لهذا المصطلح الرائج الذي بدأه مع الفلسفة التداولية بداية القرن العشرين، حيث وضع الأساس الاول لدراسة جميع انواع العلامات التي أسماها بالسيميولوجيا التي تفسير الدلالات والرموز والاشارات في جميع المجالات لتجد لها تفسيرا منطقيا أو تؤسس لوجوده ومسبباته، ولعل السيميائية اتسعت لتفسر وتبلور كل ما حولنا.

كذلك غذت اللسانيات البنيوية السيميولوجيا مع العالم اللغوي المشهور سوسير الذي اسس لدراسة العلامات اللغوية.

انبثقت السيميائية من "مبادئ الفلسفة الوضعية في جنوحها الى الشكل، وفي اتصافها بالنزعة العلمية، والفلاسفة الوضعيون هم الذين اعتبروا اللغة كلها رموزا" [1] ، وجاء دي سوسير لتنبثق معه تلك الطروحات التي شاعت في علم اللسانيات لإيجاد القوانين الضابطة، التي من شأنها أن تحدد استقلال اللسانيات وجعلها علما كسائر العلوم الاخرى، ليكون المصطلح اللساني قابلا للتطبيق الادبي والنقدي وتكون قادرة على تحليل النصوص من زوايا اللسانية والتداولية والتواصلية الادبية "[2]. كما وإن للسيميائية علاقة وطيدة بحقول معرفية مختلفة كالسيكولوجيا والسيسيولوجيا والمنطق والبلاغة، ويبقى الهدف الأسمى للسيميائية البحث عن البنيات الموغلة في النص غير الظاهرة، المتخفية تحت البنية السطحية، ليكون عملها على المستويين السطحي والعميق بحثًا عن الدلالة.

بشر سوسير بولادة السيمولوجيا في ستينيات القرن العشرين، لتهتم بدراسة الرموز في فضاءات الحياة الاجتماعية ، فكان وما زال موضوع اللسانيات الاول "دراسة اللغة لذاتها وفي ذاتها" [3] في وقت ذاته اهتمت السيميائية الحديثة في اللسانيات وجعلتها مرتكزا للإفادة منها، من حيث تعني – السيميائية - بالدلالات اللغوية وغير اللغوية، وعليه ووفق هذه الاشارات تكون السيميائية كل واللسانيات فرعا منها أو جزءا.

وبعد أن جاء رولان بارت مؤسسا كتابه (ميثولوجيات) ليحرف المسار الذي حدده سوسير متجاوزا اللسانيات النسقية وموضحا ما يراه في سيميائية العلامة "ما ينهض بين الدال والمدلول من علاقة تلك العلاقة التي تشكل على صعيد الدوال، وإذا أخذنا نظأما مثل الادب، نجد انه يتكون من مثلث، العنصر الاول هو الدال أو القول الادبي، والعنصر الثاني هو المدلول أو العلة الخارجية للعمل، والعنصر الثالث هو العلاقة أو العمل الادبي" [4]

تسعى السيميائية الى تحويل العلوم الانسانية كاللغة والفن والادب الى علوم تحكمها القوانين والقواعد، وتحولها من مجرد تأملات الى حقائق لها مادة ظاهرة تمكننا من وصفها عبر تللك العلاقات الظاهرة على بنية النص الداخلية والخارجية، وما يهمها من هذه البنى هو المعنى الشامل، كون السردية عند غريماس تعني بالمضمون عكس التحليل اللساني الذي يولي العناية بالمستوى الافقي للجملة بمعنى ان السردية تهتم بالشكل اللغوي وتشكلاته، اي الخطاب أو شكل النص الذي يتكون من :

الخطاب = مظهر أو شكل التعبير + مضمون التعبير

أما جيرار جينيت يعتمد وجود السرد على وجود التمثيل السردي الذي يفسره وجود الافعال التمثيلية التي تجعل السرد متصفا بالأدبية، أما السيميائيين فالسيمياء السردية لديهم تعتمد على :

شكل المحتوى + المضمون

فتكون البنية الخارجية المتكونة من العلاقة مع البنية الداخلية المتكونة من مضمون أوجوهر العلاقة.

من هنا نكون امام اختلاف التنظير بين سوسير وبيرس، فسوسير يعتمد ثنائية العلامة ومبدأ المحايثة وعزلة النص عن السياقات الخارجية وان النص في ذاته ولذاته، أما بيرس فيعتمد ثلاثية العلامة أو العناصر (الممثل والموضوع والمؤول) فالممثل علامة تقابل الدال عند سوسير، أما الثنيانية الثانية في مخطط بيرس هو الموضوع الذي يشكل انطباعا في الذهن، أما الثالث هو المؤول الذي يفتح مرجعيات وعلاقات يوحيها الممثل، وتكون صالحة للتأويل [5] ، في هذا البحث نقف على تمثل العلامة وعلاقتها بالمحيط وكيف المحيط صانع لها ويتمثلها.

لعل رواية (مشرحة بغداد) للكاتب برهان شاوي في طبعتها الثالثة الصادرة عن منشورات مقبرة الكتب 2021 جاءت بـ (209) صفحة موزعة على فصول متنوعة العناوين ليست الاولى التي تفضح مرارة الواقع العراقي، سواء كانت الاحداث في زمن النظام السابق أو احداث ودماء سالت في ظل الاحتلال وما انتجه من صراعات طائفية كانت سببا في صف الجثث طوابير على المشرحة حيث الموت يغير الوانه في تلك المشرحة التي قصد المؤلف مكانها في بغداد تحديدا، وهو مؤشر قطعي لبشاعة ما دار من احداث في العاصمة، كونها تحتضن طوائف مختلفة كان لابد ان تتصارع وتتناحر لا محال بسبب الهوية والانتماء المذهبي.

---

1) محاضرات مناهج النقد الادبي المعاصر، دراسة الاصول والملامح والاشكالات النظرية والتطبيقية، بشير تاوريريت، دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2006، 110

2) ينظر: النص والمنهج، محمد ديوان، ط1، منشورات دار الامان، الرباط، المغرب، 122-124

3) محاضرات في مناهج النقد الادبي المعاصر، 118

4) محاضرات الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الادبي 15-16 ابريل، 2002 منشورات جامعة بسكرة، 198

5) ينظر: التأويل بين السيميائية والتفكيكية، امبيرتو ايكو، ط3، بيروت العربي الثقافي، 2015، 25

ينظر: السيمياء العامة وسيمياء الادب من اجل تصوير شامل، عبد الواحد المرابط، ط1، الجزائر منشورات الاختلاف، 2000

تعالج الرواية الوضع المتخلخل واللامنطقي واستمرار سيلان الدماء تحت مسمى السلطة وسياسة الدمار التي يتبناها المواطن نفسه ليحكم على الاخرين بالقتل أو الاغتصاب بوجوه شتى.

تبدء الرواية في الساعات الاولى الموحشة من الليل ويصور موت الحياة في كل شيء "الساعة الان قد تجاوزت منتصف الليل، مشرحة بغداد قد اوصدت ابوابها... والشوارع المؤدية اليها، والازقة التي تحيطها، بل وبغداد كلها غارقة في الظلام" [6]

المحور الاول: سيميائية المكان

يعد المكان عنصرا مهما في القص الحكائي وله دلالات بين الواقعية والرمزية، الرواية تحمل اسماء الامكنة دلالة على موقع الحدث ولأهميته، فلا يمكن الدخول الى الرواية الا من خلال معرفة الارضية التي تتحرك عليها الشخصية، ولا نقصد بالمكان الاثاث والديكور بقدر ما نقصد به الحيز أو الفضاء الذي يفرض وجوده في الرواية ودونه يكمن النقص الحقيقي.

تتشكل الرواية من الفضاء الروائي والفضاء النصي، الفضاء الروائي يعتبر مكونا سرديا تحققه اللغة أما الفضاء النصي هو الحيز الذي تمثله الكتابة كحروف طباعية، من خلاله يصل القارئ الى الايديولوجيات التي تطلقها الشخصية لتجسيد الاحداث، فتسيطر الاحداث على الفضاء المكاني لكن لا يمكن للأحداث ان تنسلخ عن الفضاءات المكانية والجغرافية التي تمثل التفاعل بينه وبين الانا، فالمكانات التي تحوي دلالات جمالية لمكانات وقعت فيها الاحداث ولها ابعاد اجتماعية وسياسية ودينية وتاريخية التي نحكم على الشخصية من خلالها، فالفضاء الجغرافي يبقى كتجربة معاشة وهذا نوع من التعالق بين الحدث والفضاء الجغرافي لا يمكن الانفكاك عنه مهما حاول الروائي فلا يمكن فصلهما، كون الروائي مهيمن على كل الفضاءات اولها الفضاء المكاني وعلاقة الشخصيات به والكاتب المسؤول الاول عن تلوين وعرض تلك العلاقات الواقعة بينها ، اهتم برهان شاوي بالمكان كعنصر مركزي وبؤرة سيميائية له دلالة ووظيفة يؤديها ضمن سياق الرواية، ولا يعني المكان في روايته المساحة الجغرافية فقط، وانما كان له ارتباطا وثيقا بساكنيه وتفاعلهم معه " تكتشف الام وخادمتها الخرساء ومدبرة المنزل ان هناك ارواح تسكن المنزل الكبير الذي يقع وسط غابة بعيدة يغمرها الضباب، ويتضح فيما بعد ان الام وطفلها والخدم جميعهم هم الاموات، وان الذين كانت تعتقد الام بانهم الارواح التي تسكن البيت ليسوا سوى سكانها الاحياء الذين جاءوا ليستأجروه" [7]

" الطابق تحت الارضي ليس طابقا للاستخدام الوظيفي والاداري فهو يتألف من ممرات طويلة الخالية والمتقاطعة ... في احد هذه الممرات توجد غرفة الحارس آدم وفي الممر نفسه تقع قاعة التشريح ، القاعة الكبيرة التي تحفظ فيها الجثث الجديدة من اجل تشريحها" [8] بعد هذا التفصيل للمكان الذي يتميز بالدقة البصرية تتوالى القصص والحكايات التي تعتبر امتداد لمكانات مختلفة اخرها المكان الذي توجد في الجثث الراوية لما مر بها من احداث في مكانات خارج اسوار المشرحة واوراق الطب العدلي لتشكل بمجموعها الفضاء.

فالمشرحة هي الممثل المرئي دون سيرورة، وموضوعها المتصور والمعروف عن هذا المكان المؤول وما يوحيه هذا الفضاء الانتقالي من توصيفات الموت ورائحة الدم والانقطاع عن الحياة والانتقال الى فضاء اكثر رحابة ما بعد الموت.

فما يميز هذه الرواية وحدة المكان الموحشة، تنوع المكانات داخل القاعات المختلفة والممرات والطوابق مقصودة من المؤلف لتنوع الحركة داخل مجرى السرد الذي يخرج من وصف المشرحة كمكان موحش الى ساحات رحبة تجسد معانات الشخصيات "التقته في احد المطاعم الحديثة في منطقة الجادرية"[9] "في المكتب الكبير رأيت الجدران مليئة بالآيات القرآنية والشعارات الدينية" [10] " بقيت وحدي في البيت. كنت تائهة لا اعرف ما إذا أفعل.. لا اعرف كم مضى عليّ من الوقت وانا في حالتي تلك" [11] " لا أدري ، لكن هيا لنذهب.. ما إذا نفعل هنا في هذه المشرحة التي لم تعد مشرحة.." [12] ومرة اخرى يحاول الروائي ان يشرح المكانات التي تدور فيها الاحداث ويحاول ان يعطيها سمة التلاشي لتحل الشخصيات محلها وتفسره دون الاشارة الى مكان تواجدها وكأنها شخصيات محبوسة أو سجينة داخل ذاتها لتعميق الحوار والحديث عن كل ما مرت به الشخصية " لقد كانت تحت حناجرهم أثر خياطة ما بعد التشريح، لقد كانوا هم ايضا من الجثث الهاربة التي ارتدت ملابس عسكرية، وكان الطبيب المناوب ومساعده يحملان الاشارة نفسها على أعناقهم" [13] فصارت

6) رواية (مشرحة بغداد)، برهان شاوي، منشورات مقبرة الكتب، ط3، 2021، 7

7) ن.م ، 26

8) ن.م، 8

9) ن.م، 139

10) ن.م، 141

11) ن.م، 150

12) ن.م، 207

13) ن.م، 206

المشرحة مكان نفسي مهما غادرته الجثث تبقى معلقة به ومشدودة وتتوقع الرجوع اليه لذلك تحاول مفارقته " المشرحة صارت هناك في الشارع.. الجثث جميعها هربت.. نهض الحارس آدم من مكانه وكذلك نهضت جثة الصبي آدم الصغير، وخرجا من الغرفة اغلق الحارس آدم الباب خلفه، واتجه مع جثة الصبي آدم الصغير نحو السلم" [14] العنوان إبلاغي مقصود لأيقونة لها دلالاتها الموضوعية المرتبطة برائحة الموت ومعرفة مسبباته، الظلام والوحشة التي تحيط المكان الفاعل والارض المهيأة للحدث تعطي انطباعا اوليا بخطوط عريضة لمتوقع وخفايا يحتضنها المكان "لعل بداية الاهتمام بالمكان يتجلى في وصف المكان باعتباره لا يمثل خلفية الحداث فحسب، بل الإطار الذي يحتويها، ومحدودية المكان في رواية (مشرحة بغداد) واقتصار الاحداث على المشرحة فقط باعتبارها موازية للنفي والعزلة والكبت الا انها تفتح فضاءات من العلاقات بين المكان والشخوص داخل هذا المكان، فالمشرحة مكان مركزي" مساحات ذات ابعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم"[15] فالمشرحة مع كل المتعلقات التي تختلج المكان من شخصيات غريبة الا انه تبقى المشرحة معادلا للمكان بواقعه الهندسي والجغرافي، والمكان هو عنصر فعال في الشخصية الروائية يأخذ منها ويعطيها، فالشخصية التي تعيش في الجبل بطابعه، نجد المكان يؤثر في السكان وهم بدوهم يؤثرون فيه وفق علاقة جدلية"[16] حيث تتناسل لهذه المشرحة اشكال شتى من البشر الا انه سلط الضوء على شخصيات فانتازية، وجعل المؤلف محدودية للمكان وخصوصية الاحداث التي دارت في هذا المكان الضيق، فما كانت المشرحة مجرد مكان يحتضن الجثث المنتهية والمنقطعة عن الحياة؛ لكنها كانت المسرح الذي دارت فيه احداث فانتازية مرعبة، احتضنت معانٍ نفسية واجتماعية وسياسية، وهذا المكان كان مقسما الى اماكن محدودة كغرفة آدم الحارس التي تشبعت بمخاوفه من مكان ما اعتاد عليه ولا ألفه رغم الاشهر الطويلة على تواجده فيه، يبقى المكان ضاق أو اتسع مفاتيح لمغاليق النصوص، وتدور فيه الشخصية برحابة أو ضيق .

التفاصيل التي يوردها المؤلف بدقة ليرسم المكان الذي يحوي الزمن الروائي في ذهن المتلقي " ان الزمان بأنواعه المختلفة اطاره هو المكان الذي ينجز فيه" [17] فالمكان صار متداعيا بالنسبة للجثث يغطي وجوههم المخيطة الانذهال والتيه والرغبة بالهروب ونسيان المشرحة " المكان النفسي هو الذي ندركه بحواسنا وهو مكان نسبي ندركه بعقولنا هو مكان رياضي مجرد ومطلق ومتجانس ومتصل" [18] ويقول مرة اخرى مصور رغبة الجثث بالهروب " كانت خزانات الملابس مفتوحة الابواب.. وفارغة.. وبدا المخزن خالي من أية قطعة قماش.. هذا يعني ان الجثث ارتدت ملابسها وهربت.. لكن كيف حدث ذلك؟ وكيف ستدخل جثثهم المتورمة في ملابسهم" [19] المكان يترك أثره السلبي على تلك الجثث فتهرب مع اول فرصة، وتبقى المشرحة تغذي تلك الجثث بآثارها وبقاياها على أشكالهم وصورهم، يبقى المكان مرجع الشخصية مهما حاولت الانفلات منه "الجثث هربت بعد ذهاب الطبيب ومساعده ورجال الحرس الوطني" [20] المشرحة تمثل اماكن الاقامة الجبرية ومهما كبرت أو ضاقت تبقى مفاتيح توجه القارئ الى نهايات الشخصية التي تعاني سلبية المكان أو إيجابيته، فالمشرحة بالنسبة للجثث مكان معادي لا ترغب التآلف معه، وحتى قبل الموت باعتباره مكان غير محبب لها ولا تحلم بدخوله وبالمقابل هناك مكانات مفتوحة تدخل ضمن المكان المغلق، فهذه الجثث تروي احداثا في الشوارع الشعبية أو الراقية والبيوت ومؤسسات الدولة " كان الفجر قد بدأت خيوطه البيض تلون فضاء بغداد المعتم، وتكشف عن المشرحة شيئا فشيئا. عند منعطف الشارع انتبه الحارس آدم الى حركة بعض السابلة ، كانت حركات بطيئة ونظراتهم تائهة، وبلهاء، وكأنها تنظر الى الفراغ، وكانت اثار التشريح وندوبه واضحة على وجوههم أو اجسادهم"[21] وبعد تتبع الملفوظ لاحظنا مقطعا سرديا تتكرر فيه حالة الرعب التي عاشها البطل وهو في طريقه للهروب، فالطريق فضاء انتقالي واصف للضيق الذي تعانيه الجثث عبر ثنائية (الضيق/الانفراج) وهذه الثنائية توضح اسقاطات الفضاء المكاني على الشخصيات ومحاولتها العبور من الفضاء الضيق (المشرحة) التي دخلتها دون رغبة الى الرحابة (الشارع) حيث نزول الجثث الى الشوارع حلم صعب المنال، فما عاد الطريق خاص بالعبور والسير للتنزه وقضاء الحاجات اليومية ضمن الممارسات الاجتماعية المعتادة؛ وانما مكان محرم وتحت رقابة لانهم ما عادوا احياء تألفهم المارة بل مجرد جثث خضعت للتشريح القسري.

14) ن.م، 207

15) اضاءة النص، اعتدال عثمان، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1988، 50

16) شعرية الخطاب السردي، محمد عزام ، منشورات العرب، دمشق،(دط)،2005 ،70.

17) بنية الخطاب الروائي (اعمال ابراهيم نضير) دراسة في روايات نجيب الكلاني، الشريف جبيلة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، 190

18) المعجم الفلسفي، جميل طيبا، دار الكتاب اللبناني،بيروت ،(دط)،1979 413

19) رواية مشرحة بغداد، 173

20) م.ن، 171

21) م.ن، 208

سيكون فضاء المشرحة مسرحا لأحداث اخرى غير الدلالة المتعارف عليها، فالجثث ملت الصمت وتفجرت بقص حكاياتها على بعضها دون مواريه كما جاء على لسان الجثة العجوز "جاء صوت حوراء هانوفر: نعم نجونا .. لأننا كنا نراقب الموقف من بعيد.." [22] " ارادوا ان يلقوا بي هناك، لكنهم غيروا رايهم، ثم جاءوا بي الى هنا.. أعادوني .. لكن بدون روحي.. ووجدت نفسي في هذه المشرحة.. هنا في قاعة التشريح شقوا صدري واخرجوا قلبي.." [23]

عبر هذه المرويات نعي ان الجثث تتحدث تتسامر وتروي قصصها "ارتد الى مكانه وجلس تحت النافذة ليستمع الى حديث الجثث.. كيف سنقضي الليلة هذه، انها بداية حياتنا الجديدة" [24]، وهذا انزياح عن المألوف والمتوقع، فالمشرحة تخرج من كونها مكان موحش يحتضن المشكوك بأمر موتهم أو اسباب قتلهم وطرق التخلص منهم لتصبح مكان اقامة وتعارف بين الجثث التي جمعها الواقع المتردي، عبر هذه القصص المروية يتضح ان الكاتب يؤرخ لواقع مؤلم بالمعنى التاريخي والسياسي

المحور الثاني: سيميائية الزمان:

الزمن من العناصر البنائية في الرواية ولا يمكن الانفكاك عنه، مما حدا بالباحثين البحث عن مفهومه وتمظهراته "من المتعذر ان نعثر على سرد خالي من الزمن، وإذا جاز لنا افترضنا ان نفكر في زمن خال من السرد، فلا يمكن ان نلغي الزمن من السرد، فالزمن هو الذي يوجد السرد، وليس السرد هو الذي يوجد الزمن" [25] عليه يكون الزمن من العناصر المشكلة والمتممة للسرد، فالشخصيات تتنقل عبر ازمنة مختلفة، لتؤرخ احداث ومرحلة مر بها العراق، وسيطر الاسترجاع على الرواة عبر فعل التذكير، فتروي الذاكرة معاناة الشخصيات في البيت والشارع والمكتب وجهاز الامن الوطني والاذاعة واخيرا المشرحة، ارتبطت الشخصيات بعلاقة مكانية بسبب وجودها داخل المشرحة، وقد افرز السرد انواع من الزمن:

- الزمن الماضي (الاسترجاع): هذا النوع من الزمن ملازم للسرد وضرورة مرافقة للشخصيات في هذه الرواية تحديدا، يأخذ الزمن الماضي مع الشخصيات من طريق الاسترجاع والتذكر، فرصة لتقليب مرحلة زمنية تكشف وقائع لا يمكن للأحياء تداولها "لا ادري كيف اتحدث لكم عن امي، لان الام مقدسة مهما فعلت، لكني الان استطيع ان اتحدث عنها بشكل صريح.. فانا ميتة.. وهي ميتة" [26] "وصلنا الى اوربا بعد مغامرات عجيبة" [27] تروي الشخصية قصة من الماضي، تستذكر مظاهر الهروب من الوطن وان كلفهم كل ما يملكون، الرواية في اغلبها استرجاع واستذكار ولا يمكن ان تكون غير ذلك مع جثث، ويبقى الزمن الماضي ذكريات مترسخة في اذهان تلك الجثث بين العنف والتشرد والاغتيالات والسجون، ومحاولة لبعث تلك الهموم الى القادمين، واظهار صورة المجتمع بتلك الحقبة، محطات تخلق حالة من التفاعل مع القص لتقصي اسبابه.
- الاستشراف: الرواية التي بين ايدينا عنصر الاستشراف اقل حظا من الاسترجاع، فالاستشراف يعني "القفز على فقرة من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الاحداث والتطلع لما هو آتي" [28] توظيف الاستشراف يظهر قدرة الكاتب على التعامل مع الزمن لشد المتلقي "وهكذا بدأت رحلتنا الجديدة الى الموت الذي كان ينتظر زوجي" [29] هذا النوع من القص يكون ضمن ما يعرف الاستشراف أو الاستباق الخارجي وهو احد اهم التقنيات السردية، سرد يتوقف لعرض المتوقع أو الحاصل، وفي هذا سبق للزمن أو قفز على زمن القصة.

ولعل الكاتب ينوع باستعمال تقنيات الزمن، فيختصر ويلخص ويختزل احداث "لقد امتدت التحضيرات لسنتين تقريبا... المهم.. بعد ولادة ابني بسنتين توفيت امي بالسكتة القلبية" [30]

" النص ليس نظاما لغويا كما يزعم البنيويون أو كما يرغب الشكلانيون الروس، وانما هو عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة ومعقدة في اطار انظمة اجتماعية ودينية وسياسية دائمة" [31]

22) م.ن، 108

23) م.ن، 187

24) م.ن، 99

25) بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2 ،2009، 177

26) رواية مشرحة بغداد، 132

27) م.ن، 110

28) بنية النص الروائي، 132

29) رواية مشرحة بغداد، 109

30) م.ن، 109

31) حوار مع جوليا كرستيفا، فؤاد منصور، مجلة الفكر العربي، ع:18، بيروت، لبنان، 1982 122

كذلك كان للوقفة حضوة في كتابات برهان شاوي، باعتبارها من التقنيات الزمنية المستخدمة في الرواية "مرت بالحارس آدم فترة اخذ يهتم خلالها بقراءة الكتب الدينية، والكتب التي تتحدث عن الارواح وما بعد الموت وكتب التراث الاسلامي عن عذاب القبر وأهله عن الملكين منكر ونكير لكنه ترك قراءة هذه الكتب لأنه وجد فيها الكثير من الاوهام والترهات"[32] الوقفة بكل انواعها تمثل توقف مؤقت للقص، مهما تعددت انواعها، كأن تكون وقفة وصفية أو تصويرية.

ومحدودية الزمان واعتماد الدايلوجات في رواية مشرحة بغداد لا يزيد عن سبع عشرة ساعة في زمن الواقع، أما زمن الموت فهو زمن ممتد غير معلوم ومستمر، وبفضل عنصر الاسترجاع وعنصر التشويق امتدت الاحداث وكأنها زمنًا يطول دون انقطاع، وكأن الاحداث تبقى مستمرة حتى بعد انقطاع الرواية، فالكاتب يركز على تعدد الازمان بين الحاضر والماضي، فالحاضر هو واقع الجثث داخل المشرحة بزمن الحاضر وفي هذا فاعلية الزمن في التوليد الدلالي التي رسخها جيرار جنيت وما ترويه من احداث ماضية مرت بها الشخصيات.

كذلك وظف الكاتب تقنيات اخرى كالوقفة والمشهد والخلاصة، لكن اكثر تقنيات الزمن في هذه الرواية هو الاسترجاع والاستشراف.

المحور الثالث: سيميائية الشخصية

تنوع مفهوم الشخصية ودلالاتها عند المنظرين من علماء اللغة ، فعند ابن منظور تعني " الانسان وغيره مذكر، والجمع اشخاص وشخوص وشخاص، فانه اثبات الشخص واراد به المرأة ايضا، والشخص سواد الانسان وغيره نراه من بعيد، يقول ثلاثة اشخص ... وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه، الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به اثبات الذات" [33]وقد جاء في معجم الوسيط: "شخص الشيء، خصوصا ارتفع، وبدا من بعيد"[34]

أما في معجم الصحاح، فورد ذكر الشخص " سواد الانسان وغيره نراه من بعيد، يقال ثلاثة اشخص، والكثير شخوص واشخاص، وشخص الرجل بالضم ، فهو شخيص، اي جسيم وشخص المرأة شخصية، وشخص بالفتح شخوصا، اي ارتفع وشخص من بلد الى بلد اي ذهب " [35]

أما اصطلاحا فنضع ايدينا على تهالك الشخصية واعتبارها ثانوية منذ ارسطو، وان للأحداث الفضل الكبير رسم الاداء للشخصية ومقيمة لها، وخاصة عندما اعلن رولان بارت موت المؤلف وان الشخصية يعوضها المكان والزمان والحدث بمعنى ان الشخصية تابعة لكل واحدة منها، ويعرفها بأنها: "كائن من ورق" [36]، فالشخصية عنده مجرد كائن ورقي لا وجود له في الواقع، ومع بروب اخذت الشخصية منحا اخر تمثل " باختزالها مجموعة من الوظائف التي تقدمها بنية الحكي " [37] فالشخصية مهملة ليس سوى متابعة تحول الوظائف تباعا .

علما ان تهميش الشخصية أو قتلها مالقي رواجا من النقاد، ففي عام 1925 اطلقت الناقدة الكبيرة (فرجينيا وولف) مقولتها المشهورة " دعونا نتذكر مدى قلة ما نعرفه عن الشخصية " [38] تلوح الى الظلم الذي وقع على الشخصية في القص

المنظرون الكلاسيكيون ما عادوا يرون في الشخصية الا مجرد اسم للقائم بالحدث [39] ، وبعد ان جاءت البرجوازية معززة لقيمة الشخصية، ونادت بالحرية الفردية، وان الشخصية لها سمات انسانية وافعال ومواهب تعرف بها، فقاموا " بمحاسبة الروائي وتقصيره بوصف الشخصيات، سواء في أوصافها الخارجية، أوفي مشاعرها الدفينة، التي ينبغي أن تتماشى مع طبيعة المواقف انفعالاً واستجابة" [40] وكان لهذا التوجه صدا كبيرا في الاوساط الادبية وخاصة الروائية والغيت تبعيتها للحدث والزمان والمكان، فبدأت

32) رواية مشرحة بغداد، 37

33) لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت (د.ط) (د، ت)، ج6، باب الشين، 45-46

34) المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وغيره، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ج1، 175

35) مقدمة الصحاح ، احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملاين، ط2، بيروت، لبنان، 1979، ج3، باب الصاد، 1042-1043

36) الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءات نصية، شعبان عبد الحكيم محمد، الوراق للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط2، 2013،69

37) العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية ارض السواد لعبد الرحمان منيف، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010 ، 165

38) بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، 280.

39) ينظر: بيئة الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، 207-208

40) الرواية العربية الجديدة، 69

الشخصية تنال حضا ولو بسيط بان تكون حرفا كما فعل كافيكا في روايته (القصر) أو كما جعل الشخصية (صرصر) يدير الاحداث متجاهلا الشخصية الانسانية [41]

في القرن التاسع عشر اخذت الشخصية حقها المفترض وراحت تسيح في فضاءات النص الروائي وترمم الانثلامات السابقة التي لحقت بها وخاصة مع الروائيين الجدد " فقد اصبحت الشخصية تلعب دورا مهما بحيث تعتبر من العناصر الاساسية التي يعتمد عليها في الرواية لكونها تصنع الاحداث وتضفي عليها عنصر التشويق من خلال ما تقوم به كل شخصية من وظيفة ديناميكية داخل الرواية ... اذ تعد الشخصية مدار الحدث سواء في الرواية أو الواقع أو التاريخ نفسه، حتى في صورها الاولى المتمثلة في الحكاية الخرافية والملحمة والسيرة "[42].

يبدو ان هناك خلط واضح في مفهوم الشخصية عبر اجيال طويلة من النقاد، ولعل الفرق اوضحه الناقد العربي عبد الملك مرتاض في تفريقه بين الشخص والشخصية ، فالأول له ماهية وكينونة متجسدة بملامح الانسان الموجود من لحم ودم المنتسب الى الناس له هوية ويعيش الواقع، أما الشخصية فتعني المكون الروائي واللغوي المستخدمة من السارد لتعيش الوهم واللاوجود [43] فالشخصية ما عادت تحددها الصفات أو الملابس بل الدور الذي تؤديه

رواية (مشرحة بغداد) تزدحم بالفانتازيا واليوتوبيا والغرائبية والخيال مع واقعية التصويب لحقائق كانت قد حدثت وما زالت تحدث في العراق، فالرواية تجسد وتربط احداثا مضت في ظل النظام الصدامي واحداث وقعت بعد سقوط النظام، فنراه يتحدث عن المقابر الجماعية قبل 2003 "..خالك مات في التعذيب، وابوك يرقد في قبر جماعي، فهذا ما عرفته بعد سقوط النظام" [44] "امي اخبرتني بأن ابي وخالي كانا معارضين للنظام، خالي مات تحت التعذيب وابي اعتقل ولم يعد الينا قط، بعد سقوط النظام ذهبت امي لتتفقد اسماء الشهداء والسجناء والمفقودين، فوجدت اسمه في قائمة المعدومين في سجن ابو غريب" [45]

ويتحدث عن الاغتيالات والانفجارات بعد 2003 "معظم هؤلاء وجدت جثثهم ملقاة في المزابل على اطراف مدينة بغداد، أومن الجثث التي تمزقت اثر الانفجارات اليومية في المدينة.. وبعضها من الجثث التي اغتيل اصحابها بكاتمات الصوت لكن لم يكن بالإمكان تحديد هوية اصحابها" [46]

الكاتب يتحدث عن شخصية (ادم) كاسم مشترك بين كل المقتولين فآدم يختزل الجميع، وكأن كل آدم وحواء معرضون لنفس القدر.

التكرار في اسم (آدم) دلالة على تشابه اقدارهم، وقدر الشخصيات ان تنتهي نفس النهاية ، تكرار الاسماء هو نوع من التولد لشخصيات من نسل معانات آدم وحواء وانبعاثها مرة اخرى، فالشخصية بودقة تحوي مجموعة من الايحاءات والعلامات من خلالها نتعرف على الشخصية وهويتها فآدم يؤدي دورا أو ادوار باعتباره ايقونة متكررة ، ما فعله الروائي انه اضاف للاسم الاول صفات تبعث المغايرة وتجنب التشابه، ولعل المشترك بين هذه الاسماء المتشابهة انشغالهم بالموت والياته البشعة، وعلق فيليب هامون في كتابه (سيميالوجية الشخصيات الروائية) ان الشخصية الروائية تقوم بدور أو ادوار، باعتبارها مؤشرا أو علامة سيميائية تحدد مسارها عبر السياقات النصية

1- اسم العلم : سواء (آدم أو حواء) المتكررة والتي حافظ عليها الروائي على طول السرد، انما تحمل سمات يبدو انها اشتركت عند جميع الشخصيات، الشخصية الرئيسة (آدم الحارس) صاحب الدور الرئيس الذي يحمل لغزا لا يحل حتى النهاية بالقياس الى الشخصيات الاخرى، ويبقى ذكرها وارد على مدار القص، يتابع الكاتب هذه الشخصية لرسم حركاتها وتوجهاتها، شخصية (آدم الحارس) ليست بالشخصية المعقدة بقدر ما تثير هذه البساطة من لغز، لمإذا هذه المحدودية بالدور والاداء؟ وعلى كل حال تبقى هذه الشخصية نامية كاشفة لأحداث الشخصيات الاخرى عبر الاسترسال بسماعها وحواراتها وتحافظ على بقاء النص منسقا ومنسجما، أما الشخصيات الاخرى نتعرف عليها من خلال اضافة اسم (آدم أو حواء) الى مسميات أو بدائل القاب اخرى لأجل تفريقها عن بعضها (آدم الخباز، آدم كاشف الليل، آدم الحارس، حواء هانوفر، حواء البغدادية، حواء المفتي) هذه الاضافات

41) ينظر: فضاء النص الروائي مقاربة تكوينية في ادب نبيل سليمان، محمد عزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 1966، 86

42) الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، محمد علي سلامة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2007، 11

43) في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة، الفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998 ،74

44) رواية مشرحة بغداد، 157

45) م.ن، 132

46) ن.م، 164

عبارة عن بدائل دلالية لتفادي الالتباس بينهم / بينهن، فتكون علاقة بين الدال والمدلول، فدال الشخصية يبين سماتها الوصفية وتعريفها لذاتها، وعلى مستوى المدلول يكون الدور الذي تؤديه الشخصية، كما تحدد العناصر السيمالوجية كما اشار لها فيليب هامون كالسلطة والفقر والاغتصاب "هذا الرجل استغل غياب امي، فحاصرني في البيت واخذ يحضنني ويقبلني.." [47] انطالقا من شخصية المرأة التي تروي حكايتها لإضاءة جوانب ساخنة من طفولتها القاسية وما تعرضت له من جروح بمشاعر متناقضة بين الحب والكراهية، التفاؤل والتشاؤم والضيق والارتياح، تلحظ ان الكاتب يسعى الى ابداع اداة فنية تؤدي وظيفة وأدوارا تشعر القارئ باشتداد اليأس والضيق والاغتراب تاركة بصمة غير العناصر الاخرى التي تقوم عليها الرواية، عليه فالشخصية من اهم العناصر التي تقوم عليها الرواية "هناك ما هو اهم من الحبكة هناك ذلك الشيء هو الشخصية" [48].

مرَّ مفهوم الشخصية بمراحل من التطور والنضوج على بروب وغريماس، واعتمد الاخير على نتائج الابحاث التي قدمها فلاديمير بروب، وتوصل الى مصطلحين أو مستويين هما العامل والممثل

المستوى العاملي: ويقصد به شمولية الشخصية حيث ينصب جل الاهتمام بالدور الذي تؤديه دون الاهتمام بالذوات المنجزة له

المستوى الممثلي: ويقصد به الشخصية الفاعلة التي تشاركها شخصيات اخرى لإنجاز الدور العاملي [49]

واسم العلم له دلالة سيميائية داخل سياق النص، ويفترض ان تكون منسجمة ومدروسة لتحقق مقروئية للنص وللشخصية وجودها ومصيرها، فيكون للاسم وظيفة اجتماعية وايديولوجية خاصة به وله طبقة معينة، وكثيرا ما يكون الروائي تعمد اختيار اسم (آدم وحواء) فلهما ايحاءات وعلامات ترتبط بعذاباتهما وخسارتهما العظيمة المتمثلة برضى الله الذي انتهى بطردهما من الجنة، فالاختبار لآدم وحواء دلالة لخسارات كبيرة وتلميح عن الوضع النفسي الذي احاط بهما وهما ينزلان الارض كعقوبة الهية، لذلك يكون انتقاء الروائي لاسم (آدم وحواء) مبعثه ذكرى مؤلمة تراجعها الذاكرة البشرية بين الحين والاخر، ومرة اخرى لإثارة المتلقي وتخيب افق الانتظار ان يكون غير آدم وحواء على كوكب العراق، فصار المتلقي لا يتوقع مع آدم وحواء سوى الحزن والالم، فالكاتب يروض المتلقي لاستقبال المزيد من الاوجاع التي تعانيها الشخصيات وهي تروي قصصها بألم ويعرف بأدوارها بين السرد والواقع، ليستوعب المتلقي وظيفة الشخصية العاملية والثيماتيكية والكلامية، ونلحظ ان الرواية تركز على الوظيفة التاريخية الدينية وكما اهتمت بالمضمون ومرجعية الاسم (آدم وحواء) وانسلاخهما من المقدس الديني اكثر من الاهتمام بالشكل الفني، على اي حال فان الاسم داخل السرد الروائي يؤدي عدة وظائف كالوظيفة اللسانية والايديولوجية والجمالية والمنطقية والانثروبولوجية والاجتماعية والايقونية والمنطقية والسيميائية ولا نعدم وجود الشخصيات غير الحية داخل الرواية تلك الشخصيات التي تحدث عنها هامون انها ليست مقولة من طبيعة انسانية دائما. فبالإمكان اعتبار الروح في مؤلفات هيجل شخصية، وكذلك الرئيس، المدير العام، الشركة المجهولة الاسم، والمشروع، والسلطة... جميعا لها ملامح داخلية وخارجية وأهميتها من حيث الدور وهل هي ذات ساردة أم بطل ؟ فنتوصل من قراءتنا إلى أنها قد ارتسمت بخصائص متنوعة من حيث غناها التفاضلي ودرجة بروزها في مختلف مراحل السرد لكي يعيد القارئ بنائها

توصيف الشخصية: من العلامات الرئيسة تسليط الضوء على الصفات الخارجية والداخلية للشخصية، برهان شاوي اولى عناية لابأس بها للوصف الخارجي وكذلك الداخلي " شخصيته كانت ملفتة للنظر، لاسيما العينين الواسعتين والنظرة المتقدة، كان شاحب الوجه، نحيل الجسد، كث الشعر طويل القامة. لم يكن يهتم بمظهره الخارجي. يلبس دائما بنطلونا اسود وقميصا احمر، ويرتدي فوقهما قميصا طويلا ازرق اللون يصل الى ركبتيه ليميزه بانه ينتسب الى المكان الذي يعمل ويسكن فيه " [50] شخصية (آدم الحارس) هي المصدر الرئيس للمعلومات وعلى علاقة وطيدة بالجثث التي تمثل الشخصيات الساردة في هذه الرواية، فيأخذ آدم الحارس على عاتقه وصف الشخصيات خارجيا دون المشاركة بالقص ولا يظهر منه الا التعاطف المفرط مع كل ما يسمع من الجثث وهي تروي قصصها الواحدة تلو الاخرى، ولعلنا امام سؤال طرحه (جيرار جنيت) من يتكلم؟ للإجابة لابد من تتبع دور وموقع السارد:

- راوٍ غير مشارك في القصة: تماما كما فعل (آدم الحارس) بتقديمه ملامح الشخصية والوصف الخارجي لتعريف القارئ بها، واحيانا يشجع القارئ على الاستمرار بالمتابعة عبر آلية الشد والتشويق ولفت الانتباه الى الشخصية "المتحدثة هي الجثة الانيقة التي كانت على السرير النقال الذي قرب النافذة والتي كانت تشاكس (حوراء هانوفر)" [51]

47) رواية مشرحة بغداد، 134

48) المعجم المسرحي، ماري إلياس وحنان قصاب حسن، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 2006، 269-270

49) بنية النص السردي (من منظور النقد الادبي)، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000، 25

50) رواية مشرحة بغداد، 19

51) ن.م، 130

- راوٍ مشارك في القصة: تمثلها شخصية (آدم الحارس) حيث ترتبط جميع الشخصيات معه وهو مطالب بتقديمها للقارئ، وخيوط القص بيده من عرض الشخصيات وتوصيفها، ولعل هذه الشخصية انمازت بانها:
  - حاضرة على طول القص
  - نقلت هذه الشخصية الواقع المرير
  - سلطت الضوء على مآسي المرأة بشكل خاص جدا بين الاستبداد والاغتصاب والقتل، الشخصيات الاخرى كانت تحكي قصصها بالتناوب وتقدم معلوماتها

حيث ان برهان شاوي نجح نجاحا كبيرا في السرد المباشر على لسان الرواة الذين وظفهم في مشروعه الروائي لعرض الاحداث بواقعية، وبما ان الشخصيات من العناصر المهمة في البنية الروائية وتشكلاتها "فالشخصية هي التي تنتج احداث الرواية فإنها لا يمكن القيام بذلك الا ضمن حيز مكاني محدد فهو من المقومات الاساسية التي يبني عليها الحدث" [52]، لذا اولى الكاتب لها كل العناية والقصدية في تسميتها وان كانت بأسماء متشابهة

من الشخصيات المهمة في الرواية (حواء البغدادي) تسرد قصتها للجثث التي جمعها مصير مشترك على مستوى المكان وعلى مستوى القدر، منذ الطفولة وجدت نفسها مقتحمة مع الام وعشيقها، وعانت العبودية والتسلط في البيت والشارع، والسير الاعمى خلفهما للتخلص من العنف، لكن عبثا تحاول فالأم تسقط في بئر الرذيلة وتسحب البنت معها "اتذكر انني استيقظت من نومي ذات ليلة فوجدت ان امي تتصارع مع احدهم في سريرها وهي تحت الغطاء" [53] ممارسات كهذه تفضي بطفلة لا تتجاوز ربيعها السابع الى قناعة بارتباط الجنس باللاشرعية وان كل الاجساد مباحة، ومدعاة للبحث عن خلفيات هذه الام السلوكية، ومرة اخرى تعمق الشخصية سبل الانحطاط الاخلاقي "كانت قاسية جدا معي، بل انها كانت ترى بعض العاملين معها ينظرون لي بنظرات مليئة بالرغبة، بينما كانت هي لا تعير للأمر اي اهتمام، بل سمعتها تقول لاحدهم ضاحكة بأني ما زلت صغيرة وعليه ان يصبر.." [54] وتستمر بعرض معاناتها لسحبها الى هذا المستنقع، ما حدث من تحرش من عشيق امها "هذا الرجل استغل ذات يوم غياب امي، فحاصرني في البيت واخذ يحضنني ويقبلني" [55] وتستمر القصة حتى تتعرف على رجل الدين (آدم العراقي) فيسحبها الى مكتبه الضخم ليمارس معها الرذيلة "ذهبت اليه .. كان المكتب واسعا جدا.. بعد ذلك اخذ يضمني الى صدره ويقبلني، واخذ يسألني عن مذهبي.. واخذ يحدثني عن ظروفه، واخلاقه، وانه يريدني بالحلال، وانه يستحرم حتى هذه الجلسة معي، لذلك طلب مني لكي نأخذ راحتنا ان اردد كلمات القبول بزواج المتعة المؤقت على سنة الله ورسوله، كي تكون هذه الجلسة مباركة" [56] وتستمر الفتاة بالرذيلة حتى بعد وفاة الام، فتتعرف على صحفي (آدم السعيد) يعمل في احدى الاذاعات "صادفت فريقا اذاعيا يجري مقابلات مع السابلة.. الصحفي المسؤول الح على ان يجري معي لقاء" [57] وبعد ايام عرفها بمدير القناة الذي اتخذها لنفسه خليلة "في اليوم التالي قدمني آدم سعيد الى المسؤول في الاذاعة الذي اعجبه شكلي فورا .. اقصد اعجبه جسدي، فاصدر امرا بتعييني وبمبلغ لابأس به، وطلب من آدم السعيد ان يعد لي برنامج (ما يطلبه المستمعون).. واطلق عليه اسم حواء البغدادي" هناك ثلاثة فضاءات تدور فيها الشخصية، البيت فضاء الانتهاك القسري والمكتب فضاء الانتهاك المخطط والاذاعة انتهاك لأجل الانتقام، اسناد الاصوات كان يدور بين الشخصية الرئيسة (حواء البغدادي) وهي تروي قصتها، واسناد الحكي الى اشخاص اخرين كشخصية الام حيث هي المصدر الاول للمعلومات وساهمت بتقدم الاحداث وايضاح ملامح البطلة، وتم اسناد الحكي الى شخصية (آدم العراقي) وكانت معه نهاية الاحداث دموية .

عمد الكاتب الى انتقاء شخصيات فاعلة ومؤثرة ونامية كشخصية (حوراء بغدادي) المنتقدة لمسيرة حياتها العبثية وللمجتمع والاحزاب الدينية والسياسية، واستطاعت ان تصف بدقة تأزمها النفسي وازمة الاخلاق والشرف، ولم تثبت هذه الشخصية اي قيمة مجتمعية أو سياسية، فرؤيتها سوداوية وفائض من التهتك، وحياتها على طول المسار تصفية حساب، وللكاتب حضور ملموس على سريان الاحداث.

يمكن ان نحدد البنية العاملية في هذا القص، عبر تحديد الذات والموضوع

المرسل ← الموضوع ← المرسل اليه

حوراء البغدادي ← المال ← آدم العراقي

52) بنية الخطاب الروائي دراسة في رواية نجيب الكيلاني، الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث، اربد الاردن، 192

53) رواية مشرحة بغداد، 132

54) ن.م، 134

55) ن.م 134

56) ن.م، 142

57) ن.م، 151

المساعد ⟵ الفاعل ⟵ المعارض

الام وعشيقها ⟵ حوراء البغدادي ⟵ الطمع بالمزيد

في المخطط الاجرامي الذي حاكته الام وعشيقها لدفع حوراء بطلة القصة الى استحصال المال بكل الطرق، وان كان الثمن الشرف، نجد حوراء تمثل دور الاداة الفاعلة، فتكون مدفوعة من ذويها، فالأموال هي الرغبة وهي موضوع القيمة، العلاقة بين الفاعل والموضوع هي علاقة الرغبة، فحصولها على المال هو الهدف، ما يعترض هذه الرغبة ويكون سبب في قتل عشيق الام وموتها بعد خروجها من السجن مباشرة هو الطمع المفرط والرغبة بالمزيد.

أما العلاقة بين المرسل والمرسل اليه تتمثل بالدافع وهو المال من جانب حوراء والجنس من جانب آدم العراقي، الذي ساعد حوراء على الاستمرار هو دافع الام وعشيقها، لكن بين المرسل والمرسل اليه علاقة انفصال وامتناع من الطرفين حيث طمع الام وقف عارضا على استحصال المزيد من الاموال، فصار صراع بين المساعد والمعارض.

ولا يخلو الامر من شخصيات استشرافية كشخصية الجثة المحجبة "سألت الجثة المحجبة، وهل اخبرتها..؟" [58] والجثة العجوز "سألتها الجثة العجوز بنبرة متعاطفة، وانتم هل نجوتم..؟" [59] "التفتت الجثة العجوز اليها وقالت: يا ابنتي انت ما زلت صغيرة ما الذي نجده في قصة حياتك من مآسي، اكبر مأساة في حياتك هو موتك بهذا العمر" [60] تقوم هذه الجثث بالاستفسار والتعليق، وجثث اخرى تقوم بالتحقيق في امر هروب الجثث من المشرحة "الاخوان من الحرس الوطني يقولون انهم رأوا جثثا تمشي على الجسر، ويعتقدون انها هربت من المشرحة لانها كانت تبدو ممزقة، اي بقايا اجساد بشرية ممزقة .. انتبه آدم الحارس الى ان رجال الحرس الوطني بل وحتى الطبيب المناوب ومساعده يتميزون بأثر للخياطة عند عنقهم التي لم تستطع القمصان ان تغطيها" [61] عند استقراء الرواية نصل الى ان الكاتب بنى شخصياته الاستشرافية لتوصل المتلقي الى اللاحق من القص.

قصارى القول: قدم الكاتب شخصياته وهي محملة بوظائف داخل السرد، فكانت شخصيات استرجاعية، تقص حوادث مرت بها ومعاناة لم تتخلص منها فصار الماضي قاسيا عليها.

الخاتمة:

انطلاقا من الدراسات النقدية التي توجه الى كشف الدلالات التي تشكل الرواية السردية وعلاقتها بالعناصر السردية المتمثلة بالمكان والزمان والشخصية، اعتمدنا المنهج السيميائي للوصول الى نتائج منها:

- لم يلق الجانب الفيزيولوجي للشخصيات ذلك الاهتمام الذي نالته الادوار التي قدمتها الشخصيات
- اعطى الكاتب فسحة للشخصيات بالشرح والتوضيح والتأييد والمعارضة
- الشخصية الفاعلة لها دور وفاعلية في السرد
- أراد الروائي ان يواجه المجتمع بتنوع حالات الموت غير المعلن وعن أسبابه ومسبباته، فمرة يوعزها الى العامل السياسي ومرة الى التقاليد المسيجة بأسيجة العنف وقتل البنات دون مبرر حقيقي فيكون القتل عامل الشفاء للشرف، وما زال الثأر للشرف تيمة مشتركة بين المجتمعات الاسلامية خاصة
- جسدت الرواية الصراع القائم بين المبادئ والسلطة مرة، وبين السلطة الهرمية نفسها، ويحاول أحدهما الايقاع بالآخر ورصد الأخطاء مرة، والصراع لأجل العيش وان كان دون كرامة مرة اخرى.
- قدم الكاتب شخصياته وهي محملة بوظائف داخل السرد، فكانت شخصيات استرجاعية، تقص حوادث مرت بها ومعاناة لم تتخلص منها فصار الماضي قاسيا عليها
- برهان شاوي نجح نجاحا كبيرا في السرد المباشر على لسان الرواة الذين وظفهم في مشروعه الروائي لعرض الاحداث بواقعية
- مرجعية الاسماء تدور بفلك (آدم وحواء) وانسلاخهما من المقدس الديني ولذلك أبعاد عقائدية، بأن أقدار البشر مرتبطة ومماثلة لأقدر (آدم وحواء)

المراجع:

1- اضاءة النص، اعتدال عثمان، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1988

58) ن.م، 135

59) ن.م، 108

60) ن.م، 123

61) ن.م، 127

2- بنية الخطاب الروائي (اعمال ابراهيم نضير) دراسة في روايات نجيب الكلاني، الشريف جبيلة، عالم -الكتب الحديث، ط1، 2010
3- بنية الخطاب الروائي دراسة في رواية نجيب الكيلاني، الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث، اربد الاردن
4- بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2 ،2009
5- بنية النص السردي (من منظور النقد الادبي)، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000
6- التأويل بين السيميائية والتفكيكية، امبيرتو ايكو، ط3، بيروت العربي الثقافي، 2015
7- حوار مع جوليا كرستيفا، فؤاد منصور، مجلة الفكر العربي، ع:18، بيروت، لبنان، 1982
8- رواية (مشرحة بغداد)، برهان شاوي، منشورات مقبرة الكتب، ط3، 2021
9- الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءات نصية، شعبان عبد الحكيم محمد، الوراق للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط2، 2013
10- السيمياء العامة وسيمياء الادب من اجل تصوير شامل، عبد الواحد المرابط، ط1، الجزائر منشورات الاختلاف، 2000
11- الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، محمد علي سلامة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2007
12- شعرية الخطاب السردي، محمد عزام ، منشورات العرب، دمشق،(د.ط)،2005
13- العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية ارض السواد لعبد الرحمان منيف، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010
14- فضاء النص الروائي مقاربة تكوينية في ادب نبيل سليمان، محمد عزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 1966
15- في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة، الفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998
16- لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت (د.ط) (د، ت)، ج6
17- محاضرات الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الادبي 15-16 ابريل، 2002 منشورات جامعة بسكرة
18- محاضرات مناهج النقد الادبي المعاصر، دراسة الاصول والملامح والاشكالات النظرية والتطبيقية، بشير تاوريريت، دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2006
19- المعجم الفلسفي، جميل طيبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،(د.ط)،1979
20- المعجم المسرحي، ماري إلياس وحنان قصاب حسن، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 2006
21- المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وغيره، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ج1
22- مقدمة الصحاح ، احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملاين، ط2، بيروت، لبنان، 1979، ج3
23- النص والمنهج، محمد ديوان، ط1، منشورات دار الامان، الرباط، المغرب